



■ الشيخ جابر بن علي المسكري في إحدى المناسبات الاجتماعية

تمثلُ سيرة الشيخ جابر بن علي المسكري تجربةً فريدةً في الاجتهاد والكفاح والنضال والعطاء وتحقيق الذات. فهو رجلٌ عصاميّ التكوين، كريم النفس، صاحب مبادئ وقيم اجتماعية أصيلة.

الشيخ القاضي الفقيه الأديب جابر بن علي بن حمود بن جابر المسكري سليل أسرة عُرِفَتْ بالفضل والعلم والصلاح والإصلاح، ولد في قرية اليحمدي بولاية إبراء في شوال عام ١٣٣٨م، الموافق يوليو عام ١٩٢٠.

عاش الشيخ جابر بن علي المسكري يتيماً؛ فقد تُوِّفَ والده وهو ما يزال في سنوات طفولته الأولى، فتولّت والدته الرؤوم الرّضوية الفاضلة، حسينة بنت سلطان بن سالم المسكرية، رعايته وتعليمه وتوجيهه؛ إذ كانت محضنه العلمي الأول، وباعثة طموحه، وموقدة شرارة همّته وعزمه؛ فقرأ على يديها آيات الكتاب العزيز، ومبادئ الفقه والنحو والآداب وأشعار الحكمة، وطالع معها جملةً من الكتب النفيسة والآثار المخطوطة

الشيخُ الفقيهُ جَابِرُ بنِ عَلِيٍّ (المسْكِرِيُّ)

قَاضٍ زَاكِيُ الْعِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ



الأستاذ عبد الرحمن بن سعيد بن محمد المسكري
محرر في جريدة عُمان

من أعلام القضاء

الثمينة التي وجدها في خزانة آباءه وأجداده؛ فقرأ منها، في تلك المرحلة المبكرة من عمره، كتاب تلقين الصبيان للإمام السالمي، وكتاب الدلائل للشيخ جمعة المحروقي، ولطالما روى الشيخ جابر أن أول ما علّمته أمه من شعر الحكمة البيتان الشهيران:

**إذا ما المرء فاتته ثلاث ... فبِعْهُ وَلَوْ بِكَفٍ مِنْ رَمَادٍ
صِيَانَةُ عَرْضِهِ وَالصَّدْقُ مِنْهُ ... وَكِتْمَانُ السَّرَائِرِ فِي الْفُؤَادِ**

وفي ذلك الزمن الصعب الذي اشتدت فيه وطأة الفقر والعوز والحاجة على البلاد والعباد، فضلاً عما رآه على مجتمعه الصغير من مختلف أشكال الأمية والجهل والتعصب، شقّ الشيخ جابر بن علي المسكري طريقه في حجر صلد، وصعد عقبة كاداء، فسلك طريق التميز ومخالفة المألوف والسائد، فقد كان دؤوباً تَوَاقاً إلى الدرس والتعلم ومجالسة الأخيار والأفاضل منذ بواكير صباه الأولى (في حدود العاشرة من عمره)؛ فقرأ وهو في بلده اليعمدي بين يدي الشيخ مالك بن سعيد بن أحمد المسكري، الذي لم يكن معلمه وحسب؛ بل كان مرشده في ممارسة الحياة ومكابدة شؤونها، ثم مع الشيخ فتح بن ناصر المسكري، وبعدها أخذ يتردد على بلدة النصيب ليقراً على يد الشيخ زاهر بن علي الإسماعيلي؛ وفي ولاية إبراء، على يديّ الشيخين سليمان بن سالم الكندي، وعلي بن عامر المسكري.

وفي مرحلة تالية من عمره، يَمَّمُ الشيخُ وجهه شطر مدينة نزوى، عاصمة الإمامة، وحاضرة العلم والعلماء وقبلة المتعلمين، دافعاً في ذلك روحَ وثابة، وهمّة وقادة، وتوجيه كريم من معلميه الذين رأوا فيه جذوة العلم وسيماء النبوغ. قضى الشيخ يقاعة شبابيه في حصن الإمامة وممراب نزوى، فظل قرابة ثلاث سنوات شاهداً

على أحداث الحضرة الخليلية وجلسات الحكم والقضاء، تلك الحضرة التي ما فتى يتمثلها ويروي تفاصيل أحداثها حتى آخر أيام حياته. لازم الشيخ جابر المسكري هناك مجالس العلم وحلقات الدرس، فنهل من معين علمائها وكبار قضاة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي ورجالاته، كالشيخ منصور بن ناصر الفارسي، والشيخ سعود بن سليمان الكندي، والمعلم حامد بن ناصر الشكلي، وغيرهم من قضاة الإمام وعلماء تلك المرحلة. عيّنهُ الإمام الخليلي بعد ذلك معلماً في ولاية إبراء، بطلب من جماعته ووجهاء قومه وأعيانهم، فأقام مدرسة في ولاية إبراء، درّس فيها علوم العربية وعلوم الفقه والعقيدة، وتعلم بين يديه كثيرون من أهالي الولاية.

مكث بعدها برهة قصيرة من الزمن في بلده اليعمدي، حيث معاهد آباءه وموطنهم، فأقام درسه في «مسجد سالم» وهناك لازمه بعض طلبة العلم. في هذه المرحلة عُرضت عليه أعمال القضاء لأول مرة؛ إلا أنه اعتذر عن ذلك، وأثر عيش الكفاف والرضا، وعزم على السفر طلباً للرزق، إذ سافر في عام ١٩٥٠ تقريباً إلى الجزيرة الخضراء بشرق إفريقيا، شأنه في ذلك شأن أقرانه العُمانيين الذين هاجروا إلى تلك الديار بحثاً عن العيش الكريم، فعمل هناك في الزراعة، إلا أن ذلك لم يثته عن مواصلة دوره التعليمي التربوي والاجتماعي، فتسامت همّته - كما هو ديدنه الدائم - إلى درس العلوم والآثار، فكان مقره والمسجد المجاور مورداً عذباً تراحم عليه المتعلمون والأخيار وطلبة العلم، وتردد إلى مجلسه العلماء والقضاة والأعيان؛ فقد كان على صلة وتواصل مع النُخب الثقافية والعلمية والاجتماعية، شأن المشائخ سعيد بن علي المغيري، وعبد الله بن سليمان الحارثي، وهاشل بن راشد المسكري، ومسعود بن علي الريامي، ومحمد بن عمير الهنائي، والشيخ القاضي أحمد



■ الشيخ جابر المسكري مع سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ومع فضيلة الشيخ حمود الصوايفي، في حديث العلماء

بكلِّ جدارة وعدل وإحسان؛ بل كان مُصلحاً اجتماعياً، ومنوِّراً تربوياً، يعايش الناس ويعرف أحوالهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ويصلح ذات بينهم، ويحل مشكلاتهم، ويقضي بينهم. وإلى جانب ذلك؛ كان مقر إقامته ومسجده أينما حلَّ مدرسة يَفِدُ إليها المتعلمون والقراء وطلبة العلم، يتدارسون علوم اللغة العربية والآداب وعلوم الشرع الشريف.

وقد ترك الشيخ الجليل في كل ربوع عُمان التي حلَّ بها، فضلاً واسعاً من الذكريات والأخبار والمآثر الحسنة، انعكست محبة وإجلالاً وإكباراً في قلوب الناس، وقدراً وافراً من التواصل الاجتماعي والعلمي والثقافي.

وفي واقع الأمر؛ فإن مدونات الشيخ جابر بن علي المسكري وإرثيفه الوثائقي يحيلان إلى شخصية تواصلية، منذ سنوات شبابه الأولى، مع أبرز رجالات عصره من العلماء والفقهاء وأعيان المجتمع، وعلى مستويات عدة، يضيق المقام عن حصرها وتقصيلها، ومن بينهم على سبيل الإشارة: الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، وابنه محمد بن عيسى الحارثي، والسيد محمد بن أحمد البوسعيدي، والسيد حمد بن سيف البوسعيدي، والسيد حمود البوسعيدي، والشيخ أحمد بن محمد بن عيسى الحارثي، والشيخ الشيبه محمد بن عبد الله السالمي، والمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري، وغيرهم.

الهدار، وغيرهم من رجالات ذلك القطر. وقد عُرِضت عليه أعمال القضاء مرة ثانية هناك، غير أنه أعرض عن ذلك، مُكتفياً بأعباء التدريس والتعلم والتعليم إلى جانب أعماله الأخرى. ظل الشيخ جابر المسكري في تلك الديار الإفريقية زهاء عشر سنوات، تقياً في مرابعها ظلال المحبة والتألف الذي غمره به مجتمعه هناك. بيد أن الحال لم يدم، إذ كانت الأوضاع السياسية هناك قد بدأت بالاضطراب والتحول، فعاد إلى عُمان مطلع الستينيات من القرن الميلادي الماضي، واستقر به المقام إلى قريته اليمودي بولاية إبراء.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م تم تعيينه قاضياً بتوجيه من السلطان سعيد بن تيمور، وبأمر من ناظره على الداخلية السيد أحمد بن إبراهيم البوسعيدي؛ حينئذٍ ولج الشيخ جابر بن علي المسكري غمار العمل القضائي، برؤية نافذة وببصيرة وقادة، زاده العلم والإيمان، والحكمة والفطنة والممارسة الاجتماعية. وظل على ذلك ٣١ عاماً، منتقلاً بين ولايات عديدة: قاضياً مرة، وقاضياً ووالياً مرة أخرى، في كل من: الكامل والوايفي، وجعلان بني بو علي، وصور، وبدبد، وسمائل، وبديّة، وسناو. عاش الشيخ خلالها كأنبّل ما يكون، يشرف به المكان حيثما حلَّ أو ارتحل، يسبقه إليهم ما عُرف عنه من مآثر كريمة وسمت نبيل وخلق رفيع؛ إذ لم يكن مجرد قاضٍ يُمارس مهام المهنة وأعباء التكليف

يُساوم في المواقف الحاسمة الفاصلة، يعلو محيَّاهُ جلالُ المهابة
والسَّمت والوقار، وتتوَّجُّ هامته سيماء الصالحين وتواضع
الأصفياء المتقين؛ حاد البصيرة، متوقد الذهن، قد عركته رحي
الأيام، فأقامته شخصاً عازماً ذا همّة لا تعرف الكلل ولا الملل،
همة ما فتئت تفتّ الشدائد والصعاب، وتحت في صخر المحن
والإحن ملاحم الصبر والرضا والجلد على مقارعة صروف
الدهر ولأواء الحياة.

وهو إلى جانب ذلك رحيم عطوف حلیم، لين الجانب واسع
الصدر، رقيق القلب كثير البكاء، تكاد الدمعة لا تفارق عينيه؛
لا سيَّما إذا ما تليت آيات الكتاب العزيز، أو إذا تذكر مواقف
الأولين ومآثرهم.

وفي ليلة الجمعة الزهراء بتاريخ ٢٤ من ربيع الثاني ١٤٣٩هـ،
الموافق ١١ من يناير ٢٠١٨ انتقل الشيخ الجليل جابر بن علي
المسكري إلى جوار ربه، عن عمرٍ ناهز المائة عام، بعدما قضى
مسار حياته بين علم وعمل وعبادة، مُتَعَفِّفاً من شوائب الدنيا
وعرضها الزائل، فقد كان شأنه كما قال حسان عُمَان:

جازوا الجسور خفاف الحال وقرهم ...

زهدٌ وخوفٌ وإصبارٌ وشكرانٌ

«ذكر العلماء، والكتابة
عنهم، والتنويه بشأنهم، من
الحقوق العامة في الإسلام،
والله يؤتي فضله من يشاء».

الشيخ سالم بن حمود السيابي
في مقدمته لكتاب نثار الجواهر



■ الشيخ جابر في نهاية الثلاثينيات من القرن الميلادي المنصرم

كما كان على صلة وتواصل علمي وثقافي مع أغلب القضاة
المعاصرين له، كالمشايخ: خالد بن مهنا البطاشي، ومحمد بن
شامس البطاشي، وعبدالله بن محمد البلوشي، وسالم بن حمود
السيابي، وخلفان بن جميل السيابي، وسالم بن حمد الحارثي،
وسعيد بن سليمان السيابي، وغيرهم.

كما قرض الشيخ جابر المسكري الشعر في السنوات الأولى من
شبابه، وترك أثراً شعرياً، ومسائل فقهية منظومة.

وفي مرحلة تالية من حياته الحافلة، أحيل الشيخ القاضي جابر
بن علي المسكري إلى التقاعد في ١٩٩٤، لكبر سنه وتقدمه في
العمر، فاستقرّ به المقام في إبراء، وظلّ إلى آخر أيام عمره
المبارك، ممارساً دوره العلمي والتربوي والاجتماعي؛ فقد كان
مجلسه باليحمدي عاجاً بالزائرين، عامراً بتلاوات القارئین
وإنشادهم، ونقاش الباحثين والسائلين عن المعرفة والحكمة،
فيسكب هو حينئذ لهم خلاصة تجارب عمره المديد الحافل
بالإنجاز، حديث السنين العابقة بجليل الأعمال وعظيم
الإحسان.

تحيل مواقف الشيخ الجليل جابر بن علي المسكري العديدة، إلى
رجل مبادئ لا يجيد عنها البتّة، وتكشف عن شخصية قوية ذات
تأثير اجتماعي واسع؛ فقد كان رحمه الله، حازماً لا يُوارب ولا